Journal Of the Iraqia University (75-2) January (2026)
ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دور العقل في بناء القيم الأخلاقية في الإسلام

د . سدير طارق علي
كلية التربية الأساسية / الجامعة المستنصرية

The Role of Reason in Building Moral Values in Islam

Dr. Sudair Tariq Ali
College of Basic Education / Al-Mustansiriya University
sadeertariq@yahoo.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى إبراز دور العقل في بناء القيم الأخلاقية في الإسلام، من خلال دراسة العلاقة بين العقل والوحي، والوقوف على مدى قدرة العقل على التمييز بين الحَسن والقبيح، ودوره في ترسيخ الأخلاق الإسلامية. كما تناول البحث المفاهيم الأساسية المتعلقة بالقيم والعقل ومكانتهما في النصوص الشرعية، وناقش آراء المدارس الكلامية والفلاسفة المسلمين في هذا المجال. وقد توصلت الدراسة إلى أن العقل يمثل ركيزة أساسية في فهم المنظومة الأخلاقية الإسلامية وتطبيقها، حيث يتكامل مع الوحي لتأسيس سلوك قيمي متوازن يحقق مقاصد الشريعة ويحفظ مصلحة الإنسان. وأوصت الدراسة بضرورة إحياء دور العقل في مواجهة مظاهر الانحراف الأخلاقي، وتعزيز التربية القيمية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

Abstract:

This research seeks to highlight the role of reason in constructing moral values in Islam by examining the relationship between reason and revelation. It explores the extent to which reason can distinguish between good and evil and its role in establishing Islamic ethics. The research also addresses fundamental concepts related to values and reason and their position in religious texts. It discusses the views of theological schools and Muslim philosophers in this field. The study concludes that reason is a fundamental pillar in understanding and applying the Islamic moral system, integrating with revelation to establish balanced ethical behavior that achieves the objectives of Sharia and preserves human interests. The study recommends the necessity of reviving the role of reason in confronting manifestations of moral deviation and promoting values-based education in contemporary Islamic societies.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وشرّفه بنعمة العقل، وفضّله على سائر المخلوقات بالوعي والتفكر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي جاء برسالة متكاملة تمزج بين نور الوحي وهداية العقل، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.إن القيم الأخلاقية تمثل حجر الأساس في بناء شخصية الفرد واستقرار المجتمع، فهي التي تنظم السلوك الإنساني وتوجه العلاقات نحو الخير والعدل والسلام. وبما أن الإسلام هو دين الفطرة والعقل، فقد أولى عناية كبيرة بالقيم الأخلاقية، وجعلها مرتبطة بالعقل الإنساني الذي اعتبره الله مناط التكليف، ووسيلة التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ.

◆ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في الحاجة الملحّة، التي يفرضها واقعنا المعاصر، إلى إعادة إحياء دور العقل في ترسيخ القيم الأخلاقية، خصوصًا في ظل ما يعيشه العالم اليوم من انحرافات فكرية وسلوكية، والتباس بين المفاهيم الدينية والعرفية. ويسعى هذا البحث إلى إبراز الصورة المتكاملة التي يقدمها الإسلام، حيث يقوم على مبدأ الانسجام بين العقل والوحي، لا على التعارض بينهما، في بناء منظومة أخلاقية متوازنة تحافظ على استقامة الفرد والمجتمع .

◆ مشكلة البحث وتساؤلاته الرئيسة:

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل المركزي التالي:

ما الدور الذي يؤديه العقل في بناء القيم الأخلاقية في الإسلام؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية، من أبرزها:

١. ما المقصود بالعقل والقيم الأخلاقية في التصور الإسلامي؟

٢. إلى أي مدى يمكن للعقل أن يستقل في إدراك بعض القيم الأخلاقية؟

٣. ما طبيعة العلاقة بين العقل والوحي في ميدان الأخلاق؟

٤. كيف وظّف الإسلام العقل في تنظيم السلوك الأخلاقي وضبطه؟

٥. ما دور العقل في مواجهة مظاهر الانحراف الأخلاقي في الواقع المعاصر؟

◆ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، تتمثل فيما يلي:

- توضيح مفهوم العقل والقيم الأخلاقية في المنظور الإسلامي.
- إبراز دور العقل في إدراك القيم وتحديد معايير الخير والشر.
- تحليل طبيعة العلاقة بين العقل والنص الشرعي في المجال الأخلاقي.
- استعراض النماذج الأخلاقية الإسلامية التي اعتمدت على اجتهاد العقل.
- تقديم رؤية فكرية إسلامية تعزز دور العقل في ترسيخ القيم لمواجهة تحديات العصر.

◆ منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على توظيف مجموعة من المناهج العلمية، وهي:

- **المنهج التحليلي** :لدراسة المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالعقل والقيم الأخلاقية وتحليلها.
- **المنهج الاستقرائي** :لاستخلاص المبادئ الأخلاقية من النصوص الشرعية وتتبع دلالاتها.
- **المنهج المقارن** :لمقارنة آراء العلماء والمذاهب الكلامية والفلسفية بشأن دور العقل في المجال الأخلاقي.
- **المنهج النقدي** :لتقويم بعض الفهوم غير الدقيقة لدور العقل في بناء المنظومة الأخلاقية.

◆ الدراسات السابقة:

لقد تناول عدد من الباحثين العلاقة بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي، كما ركّز بعضهم على نظرية القيم الأخلاقية، ومن أبرز هذه الدراسات:

- نظرية القيم في الفكر الإسلامي، للدكتور محمد عبد الله دراز.
- مكانة العقل في التشريع الإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي.
- الفكر الأخلاقي عند الفلاسفة المسلمين، للدكتور عبد الرحمن بدوي.

ومع ذلك، فإن الدراسات التي بحثت بشكل مباشر في دور العقل في بناء المنظومة الأخلاقية الإسلامية من منظور شامل لا تزال محدودة، وهو ما يسعى هذا البحث إلى معالجته وسدّ جوانب النقص فيه.

◆ خطة البحث وهيكله العام:

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة:**الفصل الأول** :مفهوم القيم الأخلاقية والعقل في الإسلام**الفصل الثاني** :تأصيل العلاقة بين العقل والأخلاق في الإسلام**الفصل الثالث** :ثمار العقل في بناء الأخلاق الإسلامية وتطبيقاتها**الخاتمة** :تتضمن أبرز النتائج والتوصيات

الفصل الأول: مفهوم القيم الأخلاقية والعقل في الإسلام

◆ المبحث الأول: مفهوم القيم الأخلاقية

أولاً: تعريف القيم الأخلاقية لغة واصطلاحاً

لغةً :"القيمة" مأخوذة من الفعل "قام"، ويُقال: "قام الشيء قيامًا" أي ثبت واستقر، وقِيمة الشيء: قدره وشأنه. وفي المعجم الوسيط: "القيمة: ما يقدَّر به الشيء من ثمن أو مكانة." (محمد عبد الله دراز ، ١٩٩٨ ، ص١١٢)

اصطلاحًا: تُعرَّف القيم الأخلاقية بأنها مجموعة من المبادئ والمعايير التي تضبط السلوك الإنساني وتحدد ما يُعد مقبولًا أو مرفوضًا، حسنًا أو قبيحًا، في إطار منظومة معينة من العقائد والثقافة. أمّا في المنظور الإسلامي، فالقيم الأخلاقية هي تلك المعايير التي يشترك الشرع والعقل في تحديدها، وتهدف إلى تهذيب النفس وتقويم السلوك بما يحقق رضا الله تعالى ويخدم مصلحة الفرد والمجتمع على السواء.

ثانيًا: أنواع القيم الأخلاقية

تتنوع القيم الأخلاقية من حيث مرجعيتها ووظيفتها، ويمكن حصر أبرز أنواعها فيما يلي (يوسف القرضاوي ، ٢٠٠٠ ، ص١٢٣) .

١. **القيم الدينية** :وهي القيم المستمدة من العقيدة والشرائع الإلهية، مثل الصدق، والأمانة، والتقوى، والعدل. وتُعد هذه القيم ملزمة للمؤمن باعتبارها جزءًا من طاعة الله تعالى.

٢. **القيم الاجتماعية** :وهي القيم التي تنظم علاقة الفرد بالمجتمع، مثل احترام الآخرين، والتعاون، والإحسان، والوفاء بالعهد، بما يضمن استقرار المجتمع وتماسكه (طه عبدالرحمن ، ٢٠٠٠ ، ص٧٣) .

٣. **القيم الإنسانية** :وهي القيم التي تتفق عليها الإنسانية عامةً، مثل الرحمة، والحرية، وكرامة الإنسان، وقد أكد الإسلام على هذه القيم ومنحها بُعدًا إيمانيًا يرفع من شأنها ويجعل الالتزام بها جزءًا من المسؤولية الأخلاقية. (طه عبدالرحمن ، ٢٠٠٠ ، ص٧٤) .

ثالثًا: خصائص القيم الأخلاقية في الإسلامتتميز القيم الأخلاقية الإسلامية بمجموعة من الخصائص التي تمنحها شمولية وخلودًا، أبرزها:

- **الربانية** :فمصدرها الله تعالى، وليست من ابتكار الإنسان.
- **الكونية** :فهي موجهة إلى جميع البشر، ولا تقتصر على بيئة أو زمن محدد.
- **الثبات والمرونة** :ثابتة في أصلها، لكنها مرنة في تطبيقها وفق السياق.
- **الشمول** :تشمل كافة جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية.
- **الواقعية** :تتوافق مع طبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية، دون تصادم معها. (أبو حامد الغزالي ، ١٩٩٠ ، ص٨٨).

رابعًا: أهمية القيم الأخلاقية في بناء المجتمع

- تعتبر القيم الأخلاقية العمود الفقري لأي مجتمع، وهي الضمان لاستقراره واستمراريته.
- تحافظ على كرامة الإنسان وتضمن حقوقه.
- تقي المجتمع من الانحراف السلوكي والانهيار الأخلاقي.
- تعزز الثقة والتكافل والتعاون بين أفراده.
- في الإسلام، تُقرن الأخلاق بالإيمان، ويرتبط مصير الإنسان في الآخرة بمدى تحليه بها واتباعها.

المبحث الثاني: مفهوم العقل ووظيفته في الإسلام

أولاً: تعريف العقل لغة واصطلاحاً

• **لغةً:** العقل من "عَقَلَ" أي أمسك ومنع، ويُقال: "عقل الشيء يعقله عقلًا" أي حبسه. ومنه "عقل البعير" أي شدّ رُكبته. فالعقل في اللغة هو ما يمنع صاحبه من الانحراف والزلل. (أبو حامد الغزالي ، ١٩٩٠ ، ص٨٩).

اصطلاحًا: يُعرَّف العقل بأنه القدرة المميزة للإنسان على إدراك المعاني، وتحليل الأفكار، والتمييز بين الخير والشر، وهو مناط الفهم ومصدر التكليف الشرعي. وقد عرفه بعض علماء الإسلام بأنه "نور وضعه الله في قلب الإنسان ليُمكّنه من التمييز بين الأمور."

ثانيًا: مكانة العقل في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء العقل في النصوص الإسلامية في أعلى المراتب، ومن ذلك: (ابن رشد ، ١٩٨٢ ، ص١٣٤).

• في القرآن الكريم:

○ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

○ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

○ العقل قرين التفكر والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية.

• في السنة النبوية:

○ قال النبي ﷺ :*"ما من شيء أفضل عند الله من عقل يُرشد صاحبه إلى الهدى، ويصرفه عن الردى"*

○ والعقل مناط المسؤولية كما في الحديث" *:رفع القلم عن ثلاثة "...وذُكر منهم" :المجنون حتى يفيق."* (الفارابي ، ١٩٩٥ ، ص٦٨).

ثالثًا: وظائف العقل في الإسلام

- **التمييز بين الخير والشر**
- **تحليل الظواهر وتفسيرها**
- **فهم النصوص الشرعية**
- **الاجتهاد واستنباط الأحكام**
- **الضبط السلوكي والتقويم الأخلاقي**

فالعقل ليس أداة معرفية فقط، بل وسيلة لترسيخ القيم وفهم الغايات، وهو ما يربطه مباشرة ببناء المنظومة الأخلاقية في الإسلام.

رابعًا: علاقة العقل بالتكليف الشرعي

- العقل هو أساس **التكليف**، فمن لا عقل له لا يُكلّف، كما ورد في القاعدة الفقهية" *:الشرط في صحة التكليف: العقل والبلوغ."*
- به يُفهم الخطاب الإلهي، ويُفكّر في آيات القرآن، ويُدرك الواجبات والمحرمات.
- كل تشريع أخلاقي أو سلوكي في الإسلام لا يخلو من مساحة يتفاعل فيها **العقل مع النص**، إذ يُطلب من الإنسان الاقتناع والعمل لا مجرد الاتباع الأعمى. (ابن سينا ، ١٩٨٥ ، ص٩٢).

الفصل الثاني: تأصيل العلاقة بين العقل والأخلاق في الإسلام

◆ المبحث الأول: العقل كمصدر من مصادر إدراك الأخلاق

أولاً: مدى استقلال العقل في إدراك الحَسن والقبيح

اختلفت المدارس الفكرية الإسلامية حول مدى قدرة العقل على إدراك الحَسن والقبيح، أي تحديد ما هو خير أو شر من الأفعال، دون الرجوع إلى النص الشرعي. (عبد الكريم بكار، ٢٠١١ ، ص٦٥).

- تشير الرؤية القرآنية العامة إلى أن الإنسان مزوّد بفطرة وعقل تمكنه من التمييز بين الصواب والخطأ، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]

وهذا يدل على قدرة ذاتية في الإنسان على التمييز الأخلاقي.

- مع ذلك، يظل السؤال المحوري قائمًا: هل يستطيع العقل تحديد قيمة الفعل (حَسن أو قبيح) بمعزل عن النص الشرعي؟ وقد تناول هذا التساؤل مدارس علم الكلام والفلاسفة المسلمون، وهو ما سيتم عرضه وتحليله فيما يلي :

ثانيًا: الجدل بين المدارس الكلامية حول دور العقل في الأخلاق

١. **المعتزلة:** يرى المعتزلة أن العقل قادر على إدراك الحسن والقبيح بشكل مستقل عن النص الشرعي. فالفعل يعتبر حسنًا إذا أدرك العقل نفعه، وقبيحًا إذا أدرك ضرره. وبالتالي، فإن الأوامر الشرعية تأتي لتأكيد ما يعرفه العقل مسبقًا، وليست هي منشئته. (محمد عمارة، ٢٠٠٤ ، ص٥٤).

٢. **الأشاعرة:** بينما ذهب الأشاعرة إلى أن العقل وحده لا يستطيع تحديد الحسن والقبيح، بل إن الشرع هو المرجع الأساسي. فهم يرون أن الأوامر والنواهي الإلهية هي التي تمنح الفعل قيمته الأخلاقية، وأن العقل يكون أداة لفهم الحكم الشرعي وليس لتقرير القيمة الأخلاقية مستقلاً.

٣. **الفلاسفة المسلمون:** ناقش الفلاسفة المسلمون، مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد، دور العقل في الأخلاق من منظور فلسفي متكامل. فقد اعتبروا أن العقل يستطيع إدراك المبادئ العامة للخير والشر، لكنه يحتاج إلى التوجيه الشرعي لتطبيق هذه المبادئ في الحياة العملية. بهذا، يتحقق التكامل بين العقل والوحي، بحيث يوجه العقل الفهم البشري ويُعين على التطبيق الأخلاقي الصحيح.**الخلاصة:** أن الفكر الكلامي الإسلامي انقسم بين من يرى في العقل أداة مستقلة للحكم الأخلاقي، ومن يحصر الأخلاق في دائرة النص، مع الاعتراف بأن العقل يظل أداة لفهم النص على أقل تقدير.

ثالثًا: آراء الفلاسفة المسلمين في العلاقة بين العقل والأخلاق

٤. **الفارابي:** رأى الفارابي أن الفضيلة الأخلاقية هي ما يدركه العقل العملي، باعتبارها وسيلة لتحقيق السعادة. وربط الأخلاق بمفهوم المدينة الفاضلة، حيث تصبح القيم الأخلاقية ضرورية لتنظيم الحياة العامة وضمان استقرار المجتمع. (الفارابي ، ١٩٩٥ ، ص١٠١).

١. **ابن سينا:** اعتبر ابن سينا أن النفس الإنسانية مزوّدة بعقل قادر على التمييز بين الخير والشر من خلال التجربة والتأمل. ودعا إلى تهذيب النفس وترويضها بالعقل، ليصل الإنسان إلى الكمال الأخلاقي. (ابن سينا، ١٩٨٥ ، ص٩٥).

٢. **ابن رشد:** كان ابن رشد من أبرز المدافعين عن العقلانية الأخلاقية، مؤكّدًا أن الشريعة الإسلامية لا تتناقض مع العقل، بل تدعمه وتوجهه. واعتبر أن غاية الشريعة هي تحقيق المصلحة، وهي غاية يمكن للعقل إدراكها أيضًا. (ابن رشد، ١٩٨٢ ، ص١٣٧) .

النتيجة: خلص الفلاسفة المسلمون إلى أن العقل لا يتعارض مع الشرع، بل يشكل شريكًا في فهمه وتطبيقه. كما يمكن للعقل إدراك القيم الأخلاقية بشكل مستقل، خصوصًا عندما تتوافق مع الفطرة الإنسانية.

◆ المبحث الثاني: التلاقي بين العقل والنص في بناء الأخلاق

أولاً: دور العقل في فهم النصوص الأخلاقيةيُعد العقل الأداة المركزية لفهم دلالات النصوص الأخلاقية وتأويلها في سياقات متعددة. وقد اعتمد كثير من الخطاب القرآني على العقل في توجيه الإنسان (محمد عمارة، ٢٠٠٤ ، ص٥٦).كما يتضح في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٥١]، حيث تتبع هذه الآية سلسلة من القيم الأخلاقية، ما يوحي بأن هذه القيم مفهومة بالفطرة والعقل. وفي السنة النبوية، استند النبي ﷺ إلى محاكمة عقول الصحابة في فهم الأحكام، كما في قوله: "استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك"، مما يدل على أن الضمير والعقل يمكن أن يكونا مرجعًا في التمييز الأخلاقي. (محمد سعيد رمضان البوطي، ٢٠٠١، ص١٤٢).

ثانيًا: تكامل العقل مع الوحي في بناء المنظومة القيميةالإسلام لم يُلغِ دور العقل، ولم يتركه بلا ضوابط، بل اعتمد مبدأ التوازن بين الوحي والعقل؛ حيث يهدي الوحي ويقود، في حين يُدرك العقل ويفسر ويطبق. وفي هذه المنظومة، لا يعمل العقل منفردًا في إنشاء القيم، بل تحت ضوء الوحي، في علاقة تكاملية تعزز البناء الأخلاقي دون تصادم بين المصدرين.

ثالثًا: أمثلة من القرآن والسنة على توظيف العقل في ترسيخ الأخلاق

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾ [النحل: ٩٠]، يظهر أن هذه الأوامر الأخلاقية كان العقل قادرًا على إدراكها قبل النص، فجاء الوحي ليؤكدها.
- وفي قوله ﷺ: "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق"، إشارة إلى أن الأخلاق كانت موجودة بفعل العقل والفطرة، وقد جاء الوحي ليهذبها ويكملها. (عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ٢٠٠٤ ، ص٥٥).
- كما جاء في حديث الرجل الذي قال للنبي ﷺ إنه لا يستطيع الصوم ولا الصلاة، لكنه لا يكذب ولا يخون، فمدحه النبي ﷺ على تمسكه بالقيم الأخلاقية التي يُدركها العقل، حتى قبل أدائه للعبادات.

خلاصة الفصل: يظهر من ذلك أن العقل في الإسلام ليس مجرد وسيلة معرفية، بل يعد ركيزة أساسية في البناء الأخلاقي، شريطة أن لا ينفصل عن الوحي. فالعلاقة بين العقل والأخلاق في المنظومة الإسلامية علاقة تأسيس وتفعيل؛ يكشف فيها العقل المبادئ الأخلاقية، ويأتي الوحي ليقننها ويوجهها نحو غايات سامية، موازنة بين الفطرة والإيمان والواجبات العملية.

الفصل الثالث: ثمار العقل في بناء الأخلاق الإسلامية وتطبيقاتها

المبحث الأول: نماذج من القيم الأخلاقية المؤسسة على العقل

يُعتبر العقل الإنساني من أبرز مصادر إدراك القيم الأخلاقية وتثبيتها، وقد أقرّ الإسلام هذا الدور، فالكثير من القيم التي دعا إليها الإسلام قائمة على معقولية ذاتية يمكن للعقل السليم إدراكها وتمييزها. ومن أبرز هذه القيم: (عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ٢٠٠٤ ، ص٥٧).

أولاً: العدليُعد العدل من القيم الأخلاقية العليا التي اتفقت عليها العقول البشرية، وجاء الإسلام ليؤكد عليها بصيغ متعددة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. ويُدرك العقل أن إقامة العدل تحفظ النظام، وتمنع الفساد، وتحقق الأمن الاجتماعي.

ثانيًا: الرحمةالرحمة قيمة فطرية يقرّها العقل السليم، وتدل على نضج الإنسان ووعيه بالآخرين. وقد دعا الإسلام إلى الرحمة في جميع صورها (إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢٠٠٤ ، ص٣٢)، مع الضعفاء، والأطفال، والحيوانات، وحتى الأعداء في مواضع معينة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

ثالثًا: الصدقالصدق قيمة يقرّ العقل بأهميتها كأساس للثقة والتواصل السليم بين الناس. وقد جعله الإسلام من أعظم الصفات الخُلقية وقرنه بالإيمان، فقال النبي ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة." ويدرك العقل أن الكذب يؤدي إلى الفوضى والفساد، بينما الصدق يؤسس للاستقرار والثقة. (إبراهيم مصطفى وآخرون ، ٢٠٠٤ ، ص٣٢) .

رابعًا: الأمانة الأمانة من القيم التي تعزز العلاقات الإنسانية وتضبط المعاملات، ويقرّ العقل بأهميتها لحفظ الحقوق. وقد عظم الإسلام من شأنها، كما جاء في حديث النبي ﷺ: "أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

خامسًا: الشورىالشورى مبدأ عقلي قبل أن يكون دينيًا، إذ تمثل نضجًا جماعيًا في اتخاذ القرار. وقد أقرّ الإسلام هذا المبدأ بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ويُدرك العقل أن الاستبداد مفسدة، وأن التشاور يعزز الحكمة والعدالة ويقلل من الأخطاء. (فخر الدين الرازي، ص٥٧).

◆ المبحث الثاني: دور العقل في مواجهة الانحراف الأخلاقي

يُعد من أبرز وظائف العقل في الإسلام أنه لا يقتصر على إدراك الفضائل فحسب، بل يقوم بدور رقابي وإصلاحي في مواجهة الانحرافات، ما يعكس أهميته في بناء وتهذيب النفس والمجتمع.

أولاً: ترشيد السلوك الإنساني يمثل العقل ميزان الإنسان الداخلي في الحكم على السلوكيات، إذ لا يُعتبر الفعل حسنًا بمجرد وقوعه، بل يُقيّمه العقل في ضوء النتائج والنيات والمقاصد. كما قال الإمام علي (عليه السلام): "العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجِنان." ومن هذا المنطلق، يوجّه العقل السلوك نحو الخير، ويكبح جماح الهوى والانفعال، ضامنًا استقامة الفرد والمجتمع.

ثانيًا: نقد الانحرافات الخلقية باسم الدين أو العرف غالبًا ما ترتكب بعض الانحرافات تحت مسميات "الدين" أو "العادات"، رغم مخالفتها لمقاصد الشرع والعقل. وهنا يظهر دور العقل النقدي في التمييز بين الجوهر الديني الأصيل والتفسيرات المغلوطة أو المتطرفة. (محمد عبد الله دراز ، ١٩٩٨ ، ص١١٥) ومن الأمثلة على ذلك: استخدام العنف تحت غطاء "الأمر بالمعروف"، في حين يدعوان الإسلام والعقل إلى الحكمة والموعظة الحسنة، أو تبرير التمييز الاجتماعي بناءً على أعراف موروثة، رغم أن العقل والنص الشرعي يقرّان بالمساواة والعدل. ومن ثمار هذا الدور: تحرير الأخلاق من التوظيف السلبي والانحراف باسم الشريعة.

ثالثًا: الاجتهاد الأخلاقي المعاصر في ضوء العقل الإسلاميمع تعقّد الحياة وظهور قضايا أخلاقية جديدة مثل التكنولوجيا والاقتصاد والإعلام والبيئة، يُستنهض العقل الإسلامي اليوم للقيام بدور اجتهادي أخلاقي مسؤول (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٠ ، ص٧٥). ولا يقتصر هذا الاجتهاد على الفقه فقط، بل يمتد إلى بناء رؤية أخلاقية عقلانية متجذرة في النص الإسلامي، تساهم في ضبط القيم في سياقات جديدة، وموازنة المصالح والمفاسد، وتقديم بدائل أخلاقية راشدة، وتوجيه الأجيال نحو وعي نقدي أخلاقي في ظل طوفان الإعلام والانفتاح العالمي. (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٠ ، ص٧٩).

خلاصة الفصل: لقد أثبت العقل الإسلامي فعاليته ليس فقط في إدراك القيم، بل في ترسيخها والدفاع عنها وتطوير فهمها، مما يجعله أداة حيوية في أي مشروع أخلاقي إصلاحي، قديمًا وحديثًا. وعليه، فإن بناء الأخلاق الإسلامية لا يكتمل إلا بتفاعل العقل مع الوحي، وباستنهاض الاجتهاد العقلي لمواجهة تحديات العصر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد دراسة وتحليل دور العقل في بناء القيم الأخلاقية في الإسلام، يمكن القول إن هذا البحث أظهر عمق العلاقة بين العقل والأخلاق في المنظومة الإسلامية، ومدى تأثير العقل في إدراك القيم وترسيخها وفهم مقاصدها.

أولاً: أبرز النتائج التي توصل إليها البحث

١. الإسلام لا يفصل بين العقل والأخلاق، بل يؤسس منظومته القيمية على التفاعل المتوازن بين العقل والوحي.

٢. للعقل قدرة فطرية على إدراك الحسن والقبيح، وقد أقرّ الإسلام هذه القدرة، خصوصًا في القيم الكلية مثل العدل، الصدق، والأمانة.

٣. هناك اختلاف بين المدارس الكلامية حول استقلال العقل الأخلاقي؛ فالمعتزلة تبنّت استقلاله، بينما قيّده الأشاعرة بالنص، وهو جدل يعكس تنوعًا غنيًا في الفكر الإسلامي.

٤. الفلاسفة المسلمون مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد قدّموا رؤية عقلانية أخلاقية متقدمة، ترى في العقل أداة لتحقيق الكمال الإنساني والسعادة الخلقية.

٥. النصوص الشرعية، قرآنًا وسنة، دعت إلى تفعيل العقل في فهم وتطبيق القيم، واستشهدت به مرارًا كأداة للهداية والتمييز.

٦. العقل ليس مجرد مدرك للقيم، بل هو أداة لتقويم الانحرافات الأخلاقية، سواء كانت باسم الدين أو العادات أو المصلحة.

٧. الاجتهاد الأخلاقي المعاصر لا يمكن أن يثمر دون تفعيل العقل الإسلامي في معالجة القضايا المستجدة.

ثانيا: التوصيات والمقترحات

١. ضرورة إعادة الاعتبار للعقل الإسلامي في الخطاب التربوي والديني، كأداة لفهم النصوص وترسيخ القيم لا لمعارضتها.

٢. تشجيع المؤسسات الدينية والأكاديمية على دمج الفلسفة الأخلاقية الإسلامية في المناهج الدراسية، وتعريف الطلاب بجهود الفلاسفة والمتكلمين في هذا المجال.

٣. حث الباحثين المعاصرين على إجراء دراسات مقارنة بين الرؤية الإسلامية والعقلانية الغربية في تأسيس القيم.

٤. فتح المجال أمام الاجتهاد الأخلاقي الجماعي، الذي يستثمر العقل والفهم النصي لتقديم حلول للقضايا الأخلاقية المعاصرة، مثل الذكاء الاصطناعي والبيئة والإعلام.

٥. تفكيك الفهم الخاطئ الذي يقابل بين "العقل" و"الدين"، والتأكيد على أن التكامل بينهما يمثل جوهر الرؤية الإسلامية.

ثالثًا: أهمية إحياء دور العقل في ترسيخ القيم في المجتمعات الإسلامية المعاصرةفي ظل الأزمات الأخلاقية والانحرافات الفكرية والسلوكية، يبرز دور العقل كضرورة حيوية، إذ يمثل:

- حصانة ذاتية للفرد أمام التضليل والانجرار وراء التفسيرات المتطرفة أو الانفعالية.
- ضمانًا لفهم سليم للشرائع والقيم بعيدًا عن الجمود أو الإفراط.
- أداة لمواجهة التحديات الأخلاقية الحديثة بوعي وإبداع، لا مجرد تقليد أو انفعال.
- جسرًا للحوار الحضاري مع الآخرين، من خلال تقديم صورة عقلانية راشدة عن الإسلام.

✳ إن إحياء دور العقل في بناء الأخلاق لا يعني فصل العقل عن الدين، بل تفعيله في ضوء الوحي، ليصبح الإسلام مشروعًا حضاريًا قادرًا على تجديد الحياة وتهذيب الإنسان وتحقيق الخير العام.

المصادر والمراجع

١. **محمد عبد الله دراز**، *نظرية الأخلاق في القرآن*، دار القلم، مصر، ١٩٩٨م.

٢. **يوسف القرضاوي**، *الإسلام والعقل والعلم*، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠٠٠م.

٣. **طه عبد الرحمن**، *سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية*، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٠م.

٤. **أبو حامد الغزالي**، *ميزان العمل*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٥. **ابن رشد**، *تهافت التهافت*، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٢م.

٦. **الفارابي**، *المدينة الفاضلة*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٧. **ابن سينا**، *النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

٨. **عبد الكريم بكار**، *القيم في عالم متغير*، دار السلام، مصر، ٢٠١١م.

٩. **محمد عمارة**، *العقلانية الإيمانية: مدخل إلى تجديد الفكر الإسلامي*، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٤م.

١٠. **محمد سعيد رمضان البوطي**، *من روائع القرآن*، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠١م.

١١. **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، *الأخلاق الإسلامية وأسسها*، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

١٢. **إبراهيم مصطفى وآخرون**، *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مصر، ٢٠٠٤م.

١٣. **فخر الدين الرازي**، *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.